المتطوعون للجهاد في الأيام الأولى من الغزو الإيطالي

العزيزية نموذجاً

أ.د.أحمد عطية مدلل

جامعة الفاتح كلية الآداب قسم التاريخ

في الحقيقة لم يكن أتراك طرابلس، جادّين في الدفاع عنها،فقد انبهروا بقوة إيطاليا وجبروة أسطولها،وكان يحدوهم الأمل في الانسحاب إلى غريان، لحصانة موقعها، وحسب الرواية التركية نفسها،فإن

أتراك طرابلس لم يكونوا يرغبون في الدفاع عن المدينة لولا تدخّل الوطنيون وتشجيعهم على الثّبات في وجه الإيطاليين([1>) وهو ما أكده أبوت بقوله: وكان القائد التركي في موقف حرج وهو يتوقّع هجوم الإيطاليين في أية لظطه، ولم يجد بداً من الانسحاب إلى غريان وانتظار ما تسفر عنه الأحداث، إلا أن وصول العرب رفع من معنويات جنود الحامية التركية، وشجّع قائدها على اتخاذ موقف دفاعي في العزيزية وهذا القرار الذي اتخذه القائد التركي شجّع رجال القبائل على الثّبات في وجه الإيطاليين ([2>).

وحسب المعلومات التي أوردها صاحب جهاد الأبطال، فإن نشأت بك وضباطه لم يجدوا بداً من الموافقه على الحرب، وقررّوا الجهاد، وأرسلوا بهذا القرار إلى عموم القبائل الطرابلسية في شرق البلاد وغربها، فقوبل من سكان القطر جميعاً بالسمع والطاعة، ونفر الناس خفافاً وثقالا للجهاد بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله، وأخذ نشأت بك يُعد جيشه للقاء العدو واتخذ من العزيزيه مركزاً لقيادته، وكان مقر الجند رمه في عين زاره وسواني بنيادم، ونقلت بعض الأشياء الثقيلة إلى غريان ، وقصد المجاهدون مراكز الجند والتفوا حوله، وأنظم فرحات بك ومن معه من الأعيان إلى نشأت بك لتدبير أمور المجاهدين ، وعيّن نشأت بك موظفين إداريين؛ فعيّن محمد بك شلابي قائمقاماً في الزاوية ،وعيّن الهادي بك كعبار قائمقاماً في غريان، وموسى بك قائمقاماً في الجبل ([3>).

بالفعل، أضحت العزيزية مركزاً لقيادة المقاومة تستقبل أفواج المتطوعين من كل المناطق الساحلية والداخلية في القطر الطرابلسي، وقد تولّى الأعيان والمشايخ دعوة مواطنيهم بالتطوع للجهاد؛ ففي الساحل مثلاً قام فرحات الزاوي وعدد آخر من الأعيان بمكاتبة مشايخ المناطق الساحلية، داعياً إياهم إلى الإسراع في المقاومة والدفاع عن بلادهم([4>).

وفي المنطقة الجبلية تولّى سليمان الباروني والحاج عمر إعراب والحاج محمد فكني، الذين جاءوا إلى العزيزية ،للتّباحث مع الأتراك في اصرار على المقاومة والتّشبث بها وعادوا في الحين إلى ديارهم لاستنهاض الهمم وحث المواطنين على التّطوع، وحسب المصادر الوطنية فإن الباروني ومجموعته قد أجروا عدة اتصالات برجال

مناطقهم لجمع الرجال والزاد والخيام، وطبقاً لمذكرات الباروني، فإن الحاج محمد فكيني كاتب أعيان الزنتان والرجبان في هذا الخصوص،ويفهم من رسالته إلى الباروني قوله:<< كتبت لأعيان الزنتان وأعيان الرجبان، وأكدت عليهم بملاقاتي بالمركز اليوم ، وأرسلت مخصوصين ، وبعد ساعتين أو ثلاثة قادم لطرفكم وربّنا يحفظ ولايتنا ،نموت شهداء ولا نرضى بالذّل ([5>).

وجاء في مكاتبة أخرى بعث بها سليمان الباروني، إلى وكيل مدير الزنتان، يخبره فيها بقدوم أعيان الزنتان للتباحث معهم حول ما يجب تدبيره مع جميع الرجال والزاد والخيام والإبل استعداداً للمقاومة ، ومما جاء فيها قوله: لا تخفاكم الحركات الواقعة بالولاية من وقوع الحرب مع إيطاليا، فاقتضى الحال واللّزوم إحضار وإرسال السوقيات اللاّزمة ، وتشجيع جميع الأفراد المسلحين لأجل المحافظة على الوطن والدين ([6>).

ويضيف الباروني في رسالته: فيلزمكم الإتحاد واتفاق الأعيان ومشاورتهم في سرعة السوقيات من الإبل، وتأمين المسافرين معها في نفقه عونهم، وتهيئوا أهاليكم لتحضر بأنفسهم وسلاحهم ، وستمدنا الحكومة بالسلاح والمعاونة فيما يقتضي الحرب ([7>).

وتوضح رسالة أخرى بعث بها سليمان الباروني إلى أهالي فساطو بعد عودته من العزيزيه وسواني بنيادم ما يجب عمله، مؤكداً لهم أنه تمت المذاكرة مع أعيان لواء الجبل، وتم الاتفاق على التّطوع والالتحاق بمركز المقاومة في العزيزية، وقد جاء فيها قوله: تقرّر عندنا بالمذاكرة مع أعيان مركز اللواء جمع نحو (500) رجل من الشجعان الذين يفدون بأنفسهم وأرواحهم الدين والوطن، والتوجه بهم إلى مركز القومندان (القائد) بصفة عسكرية متطوعين، نقيم مع الاردو(المعسكر) في سواني بنيادم لندفع الأعداء إذا أرادوا الهجوم ، إلى أن يتم نقل الأرزاق والمهمات الحربية من هناك إلى الجبل وغريان، ثم نشكلّ جيوشاً بيّاده(راجلين) وفرساناً للغارة والهجوم عليهم إذا حطّوا في النخيل،إلى أن يأتينا المدد من الدولة إن شاء الله، فعلى من يرغب في نيل الجنة منكم أن يقيّد اسمه ويحضر بعد ثلاثة أيام ومعه زاد أربعة أيام ، أعني الزاد الذي يوصله إلى الأردو،ثم تكون مونته من الأردو.

فبادروا رحمكم الله، فإن باب الجنة مفتوح أمامكم ومحجّتها واضحة. ومن يتأخر يندم ويصير محروماً، وقد قرّرنا أن نتوجه نحن وحضرة القاضي ووكيل المتصرف مع الجند ([8>).

وحول عودة الباروني إلى العزيزية للمرة الثانية يقول أبوت : فبعد حضوره إلى العزيزية: عاد إلى الجبل واجتمع بمشايخه ودعاهم لقتال العدو دفاعاً عن الإسلام والإمبراطورية العثمانية ، فاستجابوا الدعوة، وانظم إليه ألف من القبائل سارع بهم إلى ميدان المعركة في المناطق المحيطة بمدينة طرابلس ([9>).

وتردّد المصادر التركية الرواية نفسها تقريباً وفيها ما يفيد: وأرسلت قيادة طرابلس الغرب أوامر إلى جميع الألوية والأقضية لتوزيع الأسلحة الموجودة بين المجاهدين ولتشكيل الكتائب المتطوعة ([10>).

وبالإستناد إلى صحيفة (الزهرة) التونسية، نجد أمثلة متعدّدة تدل بالفعل، على أن استجابة فورية من جميع مقاتلي دواخل طرابلس قد حدثت فعلاً تلبية لنداء الأتراك، وتعطي الصحفية في نشرتها التي اعتمدت فيها على مراسلة تلقتها من (علي عراب) ،مدير المال بفساطو، أمثلة متعدّدة حول تقاطر المجاهدين من مختلف دواخل طرابلس نحو مركز العزيزية.

وحسب هذه الإفادة فإن اجتماعاً هاماً عقد بين أعيان لواء الجبل وبقية أعيان الأقضية الأخرى ، في كل من غريان وفسّاطو، قرّروا بعدها مقابلة نشأت بك في العزيزية وفيها تذاكروا معه حول ما يجب اتخاذه في الدفاع عن طرابلس، مؤكدين له أن جميع أهاليهم قرّروا الموت في سبيل دينهم ووطنهم، وفي الحين جرى الاتصال مع أعيان كل قضاء. وبدأ المتطوعون يردون أفواجاً. وجاء في الصحيفة أن سليمان الباروني مبعوث لواء الجبل والحاج عمر عراب والحاج محمد فكيني، كانوا من بين أهالي الجبل الذين كانوا في العزيزية، يُضاف إلى ذلك جميع رؤساء ترهونه وغريان ومصراته والزاوية والعجيلات، وآخرون مثلهم من القبلة من بينهم الشيخ عبد السلام السني الذي كان بصحبة خمسة الآلف مقاتل، كما تشير الصحيفة إلى قرب وصول عرب فزان وورفله وجميع سكان فزان([11>).

بطبيعة الحال، كان سكان المنطقة الساحلية أول من وقع عليهم ظلم الإيطاليين وحيفهم، ولهذا سارعوا إلى الجهاد ضد الغزو الإيطالي، وحسب رواية صاحب جهاد الأبطال الذي كان إذ ذاك في خضم الأحداث ، فإن هؤلاء كانوا في مقدمة المتطوعين، من بينهم: زوارة، الزاوية، ورشفانه، النواحي الأربعة ، ترهونة ، زليطن ، مصراته ، وغريان ([12>).

ويضيف الزاوي إلى هؤلاء ، عدد من سكان منطقة القبلة، من بينهم محمد بن عبد الله البوسيفي ومجموعته من أولاد بوسيف، وآخرون تلاحقوا من كل صوب وحدب، وكان مركز توزيعهم في النقطة التي تبتدئ من ترّينه غرباً إلى ترهونه شرقاً([13>). ويذهب العقيد بيلارد نيللي الذي درس مجتمع القبلة من واقع العديد من المقابلات التي أجراها مع أحمد السني وأحمد البدوي، إلى نفس هذا المعنى ، فيفيدنا عن ذلك بأن نشأت بك قام باستدعاء مدير مزده الشيخ محمد سوف المحمودي وكلّفه بتشكيل محلة في منطقة الجفاره والانتقال بها على وجه السرعة نحو الساحل الغربي باتجاه زوارة وزلطن وأبي كمّاش، باعتبارها معرّضة لتهديد الإيطاليين([14>).

ويذكر بيلارد نيللي في هذا الصدد، أن نشأت بك اختار من منطقة القبلة عبد السلام السني، وأوكل إليه مهمة حشد المسلحين ووسيلة نقلهم من الإبل، وفي جمع حاشد من أعيان منطقة القبلة تلا عليهم رسائل نشأت بك وحرّضَهم على المقاومة([15>).

وحول حضور المجموعة الأولى من قبيلة أولاد بوسيف يردّد بيلارد نيللي الرواية نفسها تقريباً، وفيها ما يفيد: أن عبد السلام السني الذي تولّى في منطقة القبلة التحريض على الجهاد، أرسل على وجه السرعة بمساعدة محمد بن عبد الله ، على رأس عدد من المجاهدين باتجاه الشمال.

بيد أن عبد السلام السني الذي وافاه أجله في غريان وهو في طريقه على العزيزيه، أوصى بالقيادة لـمحمد بن عبد الله.

وفي العزيزية حيث كانت القيادة التركية – العربية المشتركة، تَقدّم إلى الوالي نفسه وطلب إليه مدّة بالمؤن والذخيرة ([16>).

وفي الحين توجة نحو طرابلس للمساهمة في المقاومة في معارك الهاني وسوق الجمعة([17>) .

وللزّاوي كلمة عن هذه الشخصية الفذّه قال فيها: وقد حضر السيد محمد بن عبد الله الحرب من أولها. ولم أنس أنى التقيت به مع المجاهدين قبل واقعة الهاني وعليه من هيبة الرجولة وجلال الطلعة ما يملأ النفوس مهابة وإجلالاً([18>).

من جهة أخرى، أكّد بيلارد نيللي أنه بسبب المكانة المتميّزة التي اختص بها بين أفراد عشيرته، والشجاعة الفائقة التي أظهرها، اعتمدته القيادة التركية، وحّملته رسائل لسكان منطقة القبلة، وعند عودته إليها أجرى اتصالات مُكثّفة مع أحمد بن ادريس الأزهري وأبي بكر قرزه.

وتؤكد رسالة بعث بها بوبكر قرزه البوسيفي إلى نشأت بك ما يفيد ببلوغ رسائله التي حملها الشيخ محمد بن عبد الله لعموم سكان منطقة القبلة بالتطوع، بما في ذلك رسالة نشأت إلى بوبكر نفسه، ويفهم من الرسالة والرّد عليها من نشأت بك ثلاثة قضايا هامه، من بينها ما قام به أبو بكر البوسيفي من تجميع المتطوعين في منطقة القبلة، وإصرار نشأت على إرسالهم إلى خط الحرب، وحاجة رجال المقاومة للسلاح الذي لم يتوفّر بالقدر الكافي لتغطية حاجة المجاهدين وعلى الأخص في المرحلة الأولى من المقاومة.

على أية حال، تطالعنا رسالة أبي بكر البوسيفي إلى نشأت بك في نصها التّالي:

وعرّفنا حضرة القائمقام بما أمرتم به ، وبناء على ذلك قد صرنا من تلك الوقت ونحن راكبين خيولنا ونتطوّف من واد إلى واد، ومن محل إلى محل، بالرغم من بعد مسافة القبائل والعربان عن بعضها بعضاً، وبعون الله... قد توفقنا لجمع(400) أربعمائة مقاتل من الشجعان الذين لاتأخذهم في الله لومة لائم ([19>).

وتضيف الرسالة : ومما زادنا نشاطاً خطابكم العالي الموجه لعموم لعيان الذي بواسطة الشيخ محمد بن عبد الله وحثّكم الناس على القدوم لخط الحرب والجهاد في سبيل الله، وعليه المرجو من همّتكم وغيرتكم وحميتكم صدور أمركم العالي بإنجاز وعدكم بتسليحنا لأن وعد الكرام دين بحيث لا نكونوا محرومين من فضيلة الحرب والجهاد الواجب بنا شرعاً لتحصل النّتيجة ([20>).

وفي رد نشأت بك على هذه الرسالة، ما يشير إلى كمية بنادق المؤزر المحدودة التي يمكن توزيعها عليهم، على أن يوزّع على الباقين نوع آخر من البنادق العتيقة، لكنه حرّضه في نهاية ردّه بالقدوم إلى خط الحرب.

ومما قاله نشأت في هذا الخصوص: ونتمنّى من صميم القلب أن تكونوا معنا في خط الحرب لينتفع الوطن بكم وتوجروا، لكن مع الأسف ، إن السلاح لم يبق لدينا... سوى مائة سلّمناها لكم بالواسطة، إنما عندنا نحو من (400) بندقية من السلاح العتيق المسمى (قباق) أمرنا بإرساله إلينا من الجبل؛ هذا السلاح فعله وفعل المؤزر واحد، وليس ثمة فرق إلا من جهة الخفه والثّقل، بناء عليه المرجو... أن ترسلوا المسلّحين يدخلون خط الحرب لأن للتأخير ءافات ، والباقون يكون قدومهم بعد تسليحهم ([21>).

وعثرنا على رسالة أخرى لا تحمل تاريخياً وُجّهت للشيخ بوبكر البوسيفى، وفيها الحاح واستعجال بحضوره لخط الحرب لحاجة القيادة التركية للمتطوعين الذين يستوجب حضورهم لساحة المعركة ، ومما جاء في نصها:

ورد لنا تلغراف من مقام القومندان (القائد العسكري) مُشعراً بجمع ما أمكنه من المجاهدين لأجل محق دابر بقيه الكفار. أرجوكم كل الرجاء حين وصول جوابنا هذا إليكم أن تُقْدموا بوجه السرعة مع ما يوجد عندكم من المجاهدين ([22>) .

وعلى أية حال ، فقد تقاطر المتطوعون من منطقة القبلة إلى ساحة قصر العزيزية، كان من بينهم ، بوبكر البوسيفي نفسه.

وحسب بيلارد نيللى، فقد شكّل سالم بن عبد النبي، محلة من مجاهدي زنتان القبلة في بئر الحميرّه، فيما حشد أبوبكر البوسيفي محلة أخرى تتكوّن من مقاتلي أولاد بوسيف والمشاشه والقنطرار والجعافره، تعزّزهم عناصر من قبائل أخرى في رويس الطبل، ومحلة ثالثة كان قد نظّمها شخص مغربي، يدعى محمد الأمين الشريف الشنقيطي([23>).

كان قد تطوّع للقتال عند مروره بفزان، فالتفت حوله مجموعات من عرب فزان، وسار ... بها عبر الشاطئ إلى مزده ليضم إلى محلته مجموعة مقاتلي مقارحة الشويرف وعلى رأسهم قائدهم سعد جلغم([24>).

وطبقاً لمراسل صحيفة (الزهرة) الذي كان في العزيزية ، فإن محلة محمد الأمين الشنقيطي القادم من غات، قد حلّت بالعزيزية، ومن وصفه لها فقد تميّزت بكثرة عدد أفرادها من المقاتلين المسلحين، وجاء في مقاله عنها:

وجميع المجاهدين القادمين مسلحون ببنادق من طراز موزر ومارتين إلاّ القليل منهم ، فطفنا في محلتهم ، فرأينا رجالاً... يذكرون الله بكيفية تخشع عند سماعها؛ وكلهم ذاهبون إلى القتال بوجوه مستبشرة وعزيمة لا تزحزحها مدافع العدو ولو بلغت ما بلغت ([25>).

ويحدثنا أبوت من جانبه، عن هؤلاء المتطوعين الذين نفروا من منطقة القبلة وفزان، ومن مناطق أخرى من الجبل الغربي، ويذكر في هذا الصدد، أن مجموعات أخرى قد جاءت من الجنوب من قبيلة أولاد بوسيف، وأولاد سليمان، وكان هؤلاء تحت قيادة شيخين مصحوبين بتموينهم وخيامهم، وحط الجميع رحالهم في ساحة قصر العزيزية حيث مقر القيادة التركية، ورغم مسافة السفر الطويل الذي استغرق خمسة وأربعون يوماً، فإن هؤلاء القوم الذين تبدو عليهم ملامح السمره، لم يبدُ عليهم أي أثر للتّعب، بل كانوا بعضلاتهم النحيلة، ورغبة حب الاستشهاد في سبيل العقيدة أكثر نشاطاً وحيوية([26>).

وفي موقع آخر ، يقدم لنا أبوت، أفضل مثال عن عدد المتطوعين للجهاد، وجاء فيما قاله عن ذلك: وفي ساحة قصر الزاوية وجدناه يعج بمحاربين حفاة، مُستعدين للتّقدم نحو الجبهة، من بينهم صبيان دون الخامسة عشر، ورجال ملتحون قد تجاوزوا الخمسين من العمر، وكلهم.... مسلحون بالبنادق ([27>).

وقد أشار أبوت إلى حماسهم المتوقد الذي كان يثيره فيهم شاعر القبيلة وقارع الطبل للحث على القتال، ويذكر أن ألآمر قد أكّد له أن هذه المجموعة لا تمثّل إلاّ جزءاً من القوات التي كانت تبعث بها منطقة الزاوية إلى ميدان المعركة، <<وهي تزوّد المعركة بما لا يقل عن عشرة الآف من المتطوعين الأقوياء ، فقد بعثت بالأمس ستمائة، وسبعمائة وخمسين اليوم ([28>).

وتتّفق المصادر الأمريكية في هذا الشأن ، مع ما أكّده أبوت حول متطوعي أهل الزاوية، ويصف كريستان هوشيل(Cristan Hoshel) مراسل جريدة الجورنال الباريسية من مقر هيئة الأركان بالعزيزية، ما شاهده أثناء تجواله في الزاوية ، بأن التطوع بين قبائل أهل الزاوية قائم على قدم وساق، وأن الإقبال على التجنيد كبير للغاية؛ فجميع الرجال اللأّئقين لحمل السلاح يطالبون بتزويدهم بالأسلحة ولم يعودوا يشعرون باليأس وبعدم إمكان هزيمة الايطاليين ([29>).

ويعطي المؤرخ الروسي بروشين، وصفاً آخر لأعداد المتطوعين، فيذكر في هذا الخصوص، بأن المعسكرات الحربية في العزيزية وسواني بنيادم، سرعان ما امتلأت بالمتطوعين << من الزاوية وجنزور ومصراته وغريان والعزيزية وقبائل أولاد سليمان وأولاد بوسيف والعجيلات ([30>).

ومن العزيزية يفيدنا أبوت مرة أخرى بأنه إلى جانب جماعات المجاهدين التي رافقته من الزاوية إلى العزيزية حيث مركز القيادة التركية – العربية، فإن جموعاً أخرى قد وصلت إلى العزيزية من مناطق مختلفة في الجبل، من نالوت وفساطو ويفرن وغريان، ومن مناطق أخرى، وقد جاءوا في مجموعات تتراوح في العدد من مئة إلى ألف.. بعضهم صغار السن وآخرون كبار ([31>).

وفي مراسلة من سليمان الباروني، إلى سليمان الجادوى مدير جريدة الأمة (نشرت بجريدة الزهرة)، يؤكد سليمان الباروني هذه الحقيقة بقوله: << وقد تضاعفت قوتنا عن ذي قبل، وورد إلينا من الجبل فقط دفعة واحدة ما يربو عن ألفى مقاتل، ولا تزال الخلائق تتوارد أفواجاً مع كمال الحميّة والنشاط ([32>).

ويؤكد أبوت الذي شاهد الأحداث عن قرب، تدفق المجاهدين على ميدان القتال،فيذكر في هذا الصدد أعداد أخرى جاءت من مناطق متباينة ؛ من فزان وسيناون التي تقع على مقربة من الحدود التونسية، وآخرون وفدوا من الجبل، ومجموعات أخرى جاءت من أماكن جديدة وبعيدة، وحسب الرواية نفسها فإن عدد آخر تطوع من سكان ورقله بالجزائر ، وجاءوا بحمولة(30) جمل كهدية للمساهمة في الجهاد الإسلامي ودفاعاً عن ديار الإسلام، وفي هذا الخصوص قال عنهم: وأخبروني بأن رحلتهم استغرقت شهراً كاملاً وذلك بسبب السير البطئ لجمال الحمل التي أحضروها معهم، وهناك أفراد من قبيلتهم في طريقهم إلى ميدان القتال ولكنّهم لم ينتظروهم وذلك لرغبتهم في الوصول بسرعة للمشاركة في القتال ([33>).

وبخصوص تطوع عرب فزان، تفيدنا برقيتان عثمانيتان من غريان إلى قيادة الفرقة العسكرية بالعزيزية بمعلومات دقيقة، وفيها ما يؤكد وصول أعداد من مقارحة الشاطئ على قافلة كبيرة كانوا وصلوا إلى غريان وفي طريقهم إلى العزيزية ، وتوصى البرقيتان باستقبال رؤسائهم باعتبارهم من أعيان ووجهاء مقارحة الشاطئ؛ تقول الأولى: << إن الشيخ فرحات بن صالح من قرية المقارحة التابعة لقائمقامية الشاطئ الملحقة لمتصرفية فزان الذي وصل إلى هنا لأجل الجهاد، قادم إليكم ، لدى وصوله يرجى مقابلته كأحد الوجهاء ([34>).

وتقول الثانية : وصلت قافلة تتركب من مائة وتسعين جملاً لمهمة نقل المؤن للمجاهدين ، وهي تحت رياسة أحد أعيان ووجهاء المقارحة الشيخ علي بك ، يرجى تعيينه رئيساً مسئولاً على هذه القافلة مدة القيام بمهمتها ([35>).

من جهة أخرى تفيدنا برقية ثالثة بوصول عدد من هجانة الطوارق الذين يقطنون بفزان تحت قيادة السلطان أمود أقا حامد؛ كان هؤلاء قد وصلوا إلى غريان وفي طريقهم إلى العزيزية للمساهمة في حركة المقاومة، تقول البرقية : << وصلت جماعة من هجانة التوارق تحت قيادة الشيخ أمود أفندي، قوامها إثنان وثلاثون، منهم ثلاثون مسلحون

ببنادق المارتين واثنان غير مسلحين ، وأفاد شيخهم بأنهم غداً صباحاً متوجهون إلى العزيزية للالتحاق بالمجاهدين بخط الحرب ([36>).

ما ينبغي التأكيد عليه، أن أفواج المتطوعين كانت متواصلة بطريقة لا تنقطع أبداً عن مقر قيادة المقاومة بالعزيزية ، ومن تأخر عن الحضور منهم كان بسبب تأمين رزق عياله، فبعد فترة جفاف طويل اضطر بعضهم إلى البقاء في أرضه لإتمام حراثتها قبل انتهاء الموسم الذي لايحتمل التأخير، وعلى الرغم من ذلك فإن أكثرهم تركوا عائلاتهم وزراعتهم وجاءوا لكي يواصلوا الحرب، وهو ما أكّده أبوت نفسه([37>).

وهذا ما نجد له تأكيد عند بروشين بقوله:

وكان أشد جزر لوحدات المقاومة تحدث إبان الأعمال الزراعية في أثناء الحرث والحصاد

([38>).

وقد لاحظ أبوت الذي كان في معسكر العزيزية، المواسم التي يقل فيها عدد الوافدين من المتطوعين ، والأخرى التي تزداد فيها الجموع المتطوعة، ويذكر في هذا الصدد أن المتطوعين ازدادوا بأعداد كبيرة أكثر من أي وقت مضى، ويعلّل ذلك بانتهاء موسم الحرث، وإلى حين موسم الحصاد الذي يبدأ في شهر يونيو، فإن هذه الفترة توفّر لهم الجهاد الذي يقدّسه العرب، والراحة من العمل الممل([39>).

ويؤكد أبوت أن أغلب المتطوعين من سكان المنطقة الجبلية، وهي ملاحظة جديرة بالاهتمام؛ فسكان المناطق الجبيلة يفتقدون إلى المياه الجوفية، فاعتمادهم الكلي مركّز على موسم الأمطار، مما يجعل من موسم الحرث شيئاً لا يمكن تعويضه يهدّد أسرهم بالمجاعة إذا لم يستغل هذا الموسم، وهم بذلك على عكس سكان الواحات والمناطق الساحلية ممن تتوفر لديهم المياه الجوفية التي قد تغنيهم عن الأمطار أحياناً، وتضطرهم إلى العمل باستمرار.

لكن هناك ما يؤكد توافد المتطـوعين الذي لا ينقطـع أبداً. ويذكر في هذا الصـدد (ايلي بيق) الذي قضّى مدة شهرين مع الجنود الأتراك في العزيزية بقوله:

أما النجدات فإنها ترد إلى طرابلس كل يوم جموع مؤلفة من المائتين والخمسين إلى ثلاثمائة مجاهد وهي واردة من جنوب جبل غريان (القبلة) والجهات الأبعد منه،ومن مرزق وحتى السودان ([40>).

من جهة أخرى ، فإنه ليس هناك وجه للمقارنة في العدد بين العساكر التركية النظامية والمتطوعين من العرب، مؤكداً ذلك بقوله:

إن العساكر النظامية قليلون ، بخلاف القوات العربية فإنها كثيرة جداً ، وتبلغ خمسة وعشرين أو ثلاثين ألف مجاهد ([41>).

وباعتراف الجنرال كانيفا فإن القوات التركية لم تكن إلاّ مجرد رمز في الحرب ([42>).

وحسب رواية بروشين، فإنه بسبب ضعف القوات التركية، فقد تولت القبائل بنفسها إرسال المتطوعين، وأن أعباء الحرب وقعت بكاملها على كاهل القبائل العربية([43>).

وبالفعل لم تكن الحرب في المرحلة الأولى، تكلف الأتراك الكثير حتى في جانبها الاقتصادي وكل ما يخص الخيام والتموين، وفي رأى ياخيموفتش، فقد تولت كل قبيلة تقديم المحاربين وتأمين تجهيزاتهم([44>) .

ويذكر بروشين في هذا الصدد أن كل قبيلة كانت مهتمه بإرسال محاربيها ومتزودين بكل ما يحتاجون إليه([45>).

ويشير الملحق العسكري الأمريكي في اسطمبول الذي اعتمد في تقريره على ملاحظات الضباط الأتراك ، بالتزام كل قبيلة << بإرسال عدد من رجالها المسلحين إلى الانضمام إلى الجيش... ولم تتنصّل أية قبيلة من هذا الالتزام ([46>).

ومما هو جدير بالذكر أن الأيام الأولى من الحرب، شهدت حضوراً مكثفاً من كل القبائل المتطوعة، مما أربك القيادة التركية في توفير الزاد والإقامة، ومع أن كثيراً من القبائل جلبت خيامها معها، فقد اضطر أكثرهم للنوم في العراء، ويصف أبوت شكل تنظيم معسكرات المجاهدين وما فيها من فقر وبساطه،ويذكر في هذا الشأن معسكر كل قبيلة ينتظم بنصب خيامه في الموقع الذي تم اختياره وهي منتجعات مؤقتة تدل على ضآلة الحياة في هذه الصحراء، ويعتبر معسكر الأتراك بما فيه من فقر وفاقه نوعاً من الرفاهية بالنسبة لهؤلاء([47>).

ويضيف أبوت في هذا الصدد، أن هناك مخيامات أخرى لمتطوعين من غريان(350) رجلاً وخيام لقبائل أخرى ، وغالبية المجاهدين لا يمتلكون خياماً، وقد اتخذوا من سماء الصحراء سقفاً يظلّهم ، وهم قانعون بذلك لأنهم متعوّدون على المشاق والبرد الشديد والرطوبة في الليل، وأكثر قدرة من الجنود الأتراك على تحمل المشاق خاصة السفر لمسافات طويلة([48>).

وعن جلد المجاهدين وصبرهم وقوة عزيمتهم وقدرتهم على تحمل الجوع والعطش، يفيدنا بقوله: << ولديهم القدرة على البقاء بدون طعام لمدة تبدو غير معقولة بالنسبة للأوروبيين الذين لا يعرفون عادات هؤلاء القوم ([49>).

ويضرب لذلك مثلاً في أول مناوشة وقعت بين المجاهدين والإيطاليين في بومليانه بطرابلس، فيذكر أن أحد المتطوعين من العرب ظل مُختبئاً لمدة تسعة أيام، وعندما أتيحت له فرصة الهرب جاء لمعسكر الأتراك وما شاهدته أعطاني قناعة باحتمال وقوعه([50>).

ويعطي أبوت صورة دقيقة لبساطة حياتهم وتموينهم ونحالة أجسادهم وهزالها ، ومع ذلك فهم جاهزون وعلى استعداد للقتال ، يحملون بنادق جاهزة للرمي، ولكل واحد منهم حزام أو حزامان مربوط في وسطه أو فوق صدره

يحتفظ فيه باطلاقاته، ويحمل بالإضافة إلى ذلك مخلاته فوق ظهره تظم تموينه المكوّن من حفنات من التمر أو الشعير، وحسب قوله: << وهكذا يأتي المجاهدون وهم مسلمون ومجهزون إلى مقر القيادة في العزيزية، ثم يسيرون في غير نظام إلى الجبهة والالتحاق بأحد جناحي قواتهم ([51>).

وفي عرض لتنظيم مواكبهم يفيدنا،أن المشايخ في المقدمة والمحاربين خلفهم، كما يعطي وصفاً لنوع الأسلحة التي جلبوها معهم عند استدعائهم للمقاومة وكلها أسلحة تقليدية قديمة لا ترقى إلى مستوى الأسلحة الحديثة حينئذٍ، ومع ذلك فإن أسلحة المشايخ أفضل بكثير من أتباعهم، فلكل شيخ أو رئيس بندقية وسيفاً يحمله على كتفه الأيمن ، في حين تزود أفراد القبيلة بأسلحة غاية في القدم؛ سيوف قديمة، بنادق بوصوّانه قديمة، معاول عادية، حراب علاها الصدأ. ويكتفي بعضهم بالتّسلح بالعصى الملتوية.

وحول طريقة استنفارهم للحرب يذكر أن هذه المجموعات تنتظم في أرتال محدثة ضجيجاً ، وعندما يخاطبهم شاعر القبيلة يردّون عليه بأصوات عالية ويلوّحون بسيوفهم وبنادقهم وأذرعهم السمراء، وترد على صيحاتهم النسوة بزغار يدهنّ التي لها أثرها في نفوسهم([52>) .

وحول نظام البدل تفيدنا وثيقة أخرى ، بأن المحاربين العرب عندما يشعرون بالتعب ، وبعد أن يكونوا غنموا بنادق في أحدى الاشتباكات مع القوات الإيطالية، يعودون إلى ديارهم ويحل محلّهم رجال مسلمون عرب آخرون([53>).

ويؤكد الباروني في إحدى مراسلاته إلى مدير جريدة الأمة ، ونشرتها صحيفة الزهرة التونسية ، هذه الحقيقة بما يفيد تنظيم متطوعى الجبل في سجلات خاصة، فقد يلتزم كل محارب بقضاء شهر كامل في الجبهة، عندئذٍ يتم استبداله بآخر بعد انقضاء هذه المدة، وعنه يقوله:

.(<54]

على أية حال لقد صوّر لنا (كريستان هوشيل) من واقع تقرير بعث به من مقر هيئة الأركان التركية في العزيزية، مشاعر الحماس المتنامي وكثرة المتطوعين والتصميم على المقاومة حتى النهاية .ة .

ويذكر عن مشاهداته في العزيزية بما يفيد قوله :

تصل التعزيزات المشكلة من المتطوعين العرب تتقدّمهم الأعلام، وجميعهم يُقسمون بأنهم يهبّون للدفاع عن الإسلام، إنهم مسلمون بواسل، ويشعرون بالكرامة، كُلّهم تصميم وإيمان ويتّقدون حماسة تكاد ترقى إلى مستوى الجنون، وسلاحهم بنادق إيطالية ([55>).

[56>).

إن المجال لا يتّسع هنا لعرض تاريخي مُفصّل عن عدد المتطوعين للحرب والذين كانوا يأتون لمقر القيادة التركية في العزيزية على فترات متباينة ومستمرة، فالأمثلة المتقدّمة كافية, لإعطاء فكرة عامة عن عدد المتطوعين الذين ما أنفكوا يتقاطرون على المنطقة الساحلية, وكان لمجيء هؤلاء أثره المعنوي في بعث الثّقة في الأتراك وإلزامهم بالمقاومة. وجميعهم مُصّممون على المقاومة رغم تواضع معداتهم الحربية وبساطة حياتهم وأساليبهم القتالية.

[1>[1> - تاريخ القوات المسلحة التركية: الحرب العثمانية الإيطالية 1911-1912،ترجمة محمد الأسطى، علي عزازي،م.ح.ل،1988.ص178.

[2> - أبوت، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب، ترجمة عبد الحفيظ الميار، لندن، دارف المحدوده،1993. ص157.

[3> - الزاوي، جهاد الإيطالي في طرابلس الغرب،ط3،بيروت،دار الفتح للطباعة والنشر،1973،ص91-92.

[4> - أبوت، م.س،ص155.

[5> - سليمان الباروني، صفحات خالدة من الجهاد، جمع وترتيب زعيمه الباروني، القاهرة 1964،ج1،ص165.

[6> - الباروني، م.ن،ص166.

[7> - م.ن.

[8> - الباروني، م.س،ص170.

[9> - أبوت، م.س،ص160.

[10> - تاريخ القوات المسلحة التركية، م.س،ص159.

[11> - محمد صالح الجابري،يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية ص250.

[12> - الزواي. جهاد الأبطال، م.س،ص92.

[13> - م.ن.

[14> - بيلارد نيللي،أ. القبلة، ترجمة عبد الرحمن العجيلي ، المطبعة الحجرية للقيادة العامة للقوات المسلحة، طرابلس 1935، مخطوط، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ،طرابلس،ص49.

[15> - بيلارد نيللي،م.ن،ص50.

[16> - بيلارد نيللي، م.س،ص50.

[17> - م.ن،ص51.

[18> - الزاوي، جهاد الأبطال، م.س،ص185.

[19> - رسالة أبي بكر أحمد البصير، وحسن الشريع، إلى نشأت بك ،21 صفر 1330هـ 10 فبراير 1912، م.ح.ل، شعبة الوثائق والمخطوطات ، ملف البصير.

[20> - الرسالة نفسها.

[21> - الرد في الرسالة نفسها،23 صفر 1330هـ، 12 فبراير 1912.

[22> - رسالة وكيل والي الولاية، إلى الشيخ أبي بكر البوسيفي وقريبه الشيخ أحمد، د.ت،م.ج.ل، شعبة الوثائق والمخطوطات، ملف البصير.

[23> - هو محمد الأمين الشريف الشنقيطي: من رجال العلم في موريتانيا، هاجر إلى فزان ومنها إلى طرابلس، ساهم في حركة المقاومة حتى معاهدة لوزان 1912. هاجر بعدها إلى المشرق مع الكثير من الليبيين وجميعهم اشتركوا في حرب السويس إبان الحرب العالمية الأولى إلى جانب الأتراك، وانتقل من بقى منهم= =إلى تركيا.

وبأمر من مصطفى كمال اتاتورك، خصص لليبيين ومحمد الأمين مراكز لاستقرارهم في ولاية أضنا بخليج الاسكندرونه. قام الباحث بزيارة أحفاده في عام 1983.

[24> - بيلارد نيللي، القبلة،م.س،ص50.

[25> - الجابري، يوميات الجهاد الليبي في الصحافة التونسية،ج2،م.س،ص346.

[26> - أبوت ، الحرب المقدسة في طرابلس الغرب،م.س،ص136.

[27> - م.ن،ص61.

[28> - م.ن،ص62.

[29> - مقال نشرته جريدة الجورنالي الباريسية، عن مراسلها في اسطمبول، المسيو كريستان، بعث به من مقر هيئة الأركان بالعزيزية، بتاريخ 28 ديسمبر 1911.و.ك،م.ح.ل.1989.مج2.ص127.

[30> - بروشين، تاريخ ليبيا، ج2، م.س،ص115.

[31> - أبوت، م.س،ص133.

[32> - الجابري، م.س،ج2،ص139.

[33> - أبوت ، م.س،ص218- 219.

[34> - برقية من غريان، إلى قيادة الفرقة العسكرية، رقم 66 بتاريخ 23 أبريل 1912، و.ع،د،م،ت. طرابلس.

[35> - برقية من غريان ، إلى قيادة الفرقة العسكرية، رقم 67 بتاريخ 23 أبريل 1912،و.ع،د،م،ت. طرابلس.

[36> - برقية من غريان، إلى قيادة الفرقة العسكرية، رقم 83، بتاريخ 1 مايو 1912.و.ع،د،م،ت. طرابلس.

[37> - أبوت، الحرب المقدسة، م.س،ص139.

[38> - بروشين، تاريخ ليبيا،ج2،م.س،ص123.

[39> - أبوت، م.ن،ص323.

[40> - الجابري، يوميات الجهاد الليبي، ج2،م.س.ص183- 184.

[41> - الجابري،ج2،م.س،ص184.

[42> - بروشين، تاريخ ليبيا، ج2، م.س،ص118.

[43> - م.ن،ص113.

[44> - ياخيموفتش، الحرب التركية الإيطالية، م.س،ص81.

[45> - بروشين، م.ن،ص113.

[46> - تقرير تايلور، الملحق العسكري الأمريكي في اسطمبول، بتاريخ 9 أبريل 1912. و.ك،م،ج،ل.1989، مج1،ص462.

[47> - أبوت، م.س،ص138.

[48> - م.ن،ص138-139.

[49> - أبوت، م.س،ص139.

[50> - م.ن،ص353..

[51> - م.ن،ص170.

[52> - م.ن،ص134.

[53> - تقرير تايلور، بتاريخ 9 أبريل 1912، و.ك،ج1 ، م.س،ص462.

[54> - الجابري، يوميات الجهاد الليبي،م.س،ج2،ص140

[55> - تقرير، كريستيان هوشيل السابق،ص128

[56> - تقرير المقدم، موت السابق،ص 438.

المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية © 2010